الصباح الإسلامية
08
العدد 1624 - السنة السادسة
الاثنين 20 رمضان 1434 - الموافق 29 يوليو 2013
Monday 29 July 2013 - No.1624 - 6th Year

من صامه مؤمناً بفرضيته محتسباً لثوابه فليبشر بالمغفرة

مفتاح أبواب الجنة .. في شهر الغفران

■ مـن أهم العبادات التي تعين على التقوى والتقـرب إلى الله والبعد عن الرياء وتهذيب النفس وتأديبها

رمضان شهر العبادة والتقرب إلى الله

قراءة القرآن من وسائل التقرب إلى الله في رمضان

لما كان للصوم تلك الفضائل العظيمة والعواقب الكريمة، التي سبقت الإشارة إلى طرف منها، فرضه الله على عباده شهرا في السنة، وكتبه عليهم كما كتبه على الذين من قبلهم، كما قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة، الآية: 183] فجعل سبحانه صيام رمضان فريضة على كل مسلم ومسلمة، بشروطه المعتبرة، التي جاء بها الكتاب والسنة. قدل على أنه عبادة لا غنى للخلق عن التعبد بها، لما يترتب على أدائها من جليل المنافع وطيب العواقب، وما يحدثه من خير في النفوس وقوة في الحق وهجر للمنكر وإعراض عن الباطل.

ومما اختص الله به شهر رمضان، ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة» «رواه البخاري». وفيه أيضا عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين

ولا يخفى ما في ذلك من تبشير المؤمنين بكثرة الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وما يتيسر لهم من أسباب الإعانة عليها والمضاعفة لها وما جعله الله في رمضان في دواعي الزهد في المعاصي والإعراض عنها، وضعف كيد الشياطين وعدم تمكنهم مما يريدون.

ومن فضائل صوم رمضان، ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فمن صام الشهر مؤمنا بفرضيته محتسبا لثوابه وأجره عند ربه، مجتهدا في تحري سنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، فيه فليبشر بالمغفرة.

وإذا كان ثواب الصيام يضاعف بلا اعتياد عدد معين، بل يؤتى الصائم أجره بغير حساب، فإن نفس عمل الصائم يضاعف في رمضان، كما في حديث سلمان المرفوع وفيه: من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه فيجتمع للعبد في رمضان مضاعفة العمل ومضاعفة الجزاء عليه، «فضلا من رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [الدخان، الآية: 57]

ومن فضائل رمضان، أن الملائكة تطلب من الله للصائمين ستر الذنوب ومحوها، كما في الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال في الصوام: وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة والملائكة خلق أطهار كرام. جديرون بأن يقبل الله دعاءهم، ويغفر لمن استغفروا له، والعباد خطاءون محتاجون إلى التوبة والمغفرة كما في الحديث القدسي الصحيح، يقول الله تعالى: يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم فإذا اجتمع للمؤمن استغفاره لنفسه واستغفار الملائكة له، فما أحراه بالفوز بأعلى المطالب وأكرم الغايات. وهو شهر المواساة والإحسان، والله يحب المحسنين وقد وعدهم بالمغفرة والجنة والفلاح والإحسان أعلى مراتب الإيمان، فلا تسأل عن منزلة من اتصف به في الجنة وما يلقاه من النعيم وألوان التكريم. «آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ» [الذاريات، الآية: 16]

ويتيسر في هذا الشهر المبارك إطعام الطعام وتفطير الصوام، وذلك من أسباب مغفرة الذنوب وعتق الرقاب من النار، ومضاعفة الأجور، وورود حوض النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي: من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبدا نسال الله بمنه وجوده أن يوردنا إياه. وإطعام الطعام من أسباب دخول الجنة دار السلام، ورمضان شهر تتوفر فيه للمسلمين أسباب الرحمة وموجبات المغفرة، ومقتضيات العتق من النار، فما أجزل العطايا من المولى الكريم الغفار.

وهو شهر الذكر والدعاء وقد قال تعالى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الجمعة، الآية: 10] وقال سبحانه: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الأحزاب، الآية: 35] وقال سبحانه: «وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» [الأعراف، الآية: 56] وقد قال تعالى في ثنايا آيات الصيام: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة، الآية: 186] مما يدل على الارتباط بين الصيام والدعاء.

وفي شهر رمضان، ليلة القدر التي قال الله في شانها: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [القدر، الآية: 3] قال أهل العلم معنى ذلك: أن العمل فيها خير وأفضل من العمل في ألف شهر – وهي ما يقارب ثلاثا وثمانين سنة – خالية منها وكفى بذلك تنويها بفضلها وشرفها، وعظم شان العمل فيها لمن وفق لقيامها – نسال الله تعالى أن يوفقنا على الدوام لذلك بمنه وجوده – وجاء في الصحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وهذا من فضائل قيامها وكفى به ربحا وفوزا.

ومن خصائصه، فضل الصدقة فيه عنها في غيره، ففي الترمذي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، سئل» أي الصدقة أفضل؟ قال صدقة في رمضان وثبت في الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن. وكان جبرائيل يلقاه كل ليلة من شهر رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ورواه أحمد. وزاد ولا يسال شيئا إلا أعطاه والجود: هو سعة العطاء بالصدقة وغيرها.

■ من خصائصه: فضـل الصدقة فيـه عنهـا في غيـره فالأجـر مضاعـف فـي شهر الخير

وفي زيادة جوده، صلى الله عليه وسلم، في رمضان اغتنام لشرف الزمان، ومضاعفة العمل فيه والأجر عليه، فقد روي عنه، صلى الله عليه وسلم – كما في حديث سلمان – انه قال – في رمضان –: «من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» ولأن الجمع بين الصيام والصدقة ابلغ في تكفير الخطايا والوقاية من النار، ففي الحديث الصحيح الصوم جنة أي وقاية من النار وفي الصحيح أيضا قال، صلى الله عليه وسلم، «اتقوا النار ولو بشق تمرة»

ومن خصائص رمضان أن العمرة فيه تعدل حجة، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي، صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» وفي رواية: حجة معي.

ومن خصائصه، أنه شهر القرآن شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة، الآية: 185] فللقرآن فيه شان في إصلاح القلوب والهداية للتي هي أقوم لمن تلاه وتدبره وسال الله به، وكم جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من بيان لفضل تلاوة القرآن؟ بقوله، صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وقوله، صلى الله عليه وسلم: اقرءوا القرآن فإنه يأتي شفيعا لأهله يوم القيامة وقوله، صلى الله عليه وسلم: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما وقوله، صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه وكلها أحاديث صحيحة، متضمنة لأعظم البشارات لتالي القرآن عن تفكر وتدبر، فكيف إذا كان في رمضان؟!! جعلنا الله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته. ويقول الشيخ سعود الشريم بعنوان: تحية رمضان من كتاب/ وميض من الحرم ج3 صـ88 أيها الناس:

لقد جاءكم شهر رمضان محيا بتحايا،تضفي إليه من الجلال جلالا،ومن البهاء بهاءً، أتاكم رمضان يحمل الجوع والعطش، ترى الطعام أمامك وتشتهية نفسك،وتصل إليه يدك،ولكنك لاتستطيع أن تاكله ويلهب الظما جوفك،والماء من حولك لاتقدر على الأرتواء منه، ويأخذ النعاس بلبك ويداعب النوم جفنيك. ويأتي رمضان ليوقظك لسحورك. إنها ترادف حلقات الصبر والمصابرة. ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «الصوم نصف الصبر». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

فياسعد الصائم. كيف ينال الأجر في ظمئة وجوعه عند من لايظلم مثقال ذرة: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (التوبة: من الآية120).

لقد جاء رمضان لينيب الناس فيه إلى ربهم ويؤموا بيوته.. ليعمروها بالتراويح والذكر.. تمتلئ بهم المساجد،متعبدين أو متعلمين.. والمساجد في الأقطار حفل بالعباد صفا واحدا متراصة اقدامهم وجباههم على الأرض سواء الغني والفقير والوضيع والغطريف.. الصعلوك والوزير والأمير.. يذلون لله فيعطيهم الله بهذه الذلة عزة على الناس كلهم إن حسن القصد واستصوب العمل.. ولا غرو أيها المسلمون إذ من ذل لله أعزه الله ومن كان لله عبدا مطيعا جعله الله بين الناس سيدا ومن كان مع الله بأتباع شرعه والوقوف عند أمره ونهيه كان الله معه بالنصرة والتوفيق والغرفان

وبذلك عباد الله ساد أجدادنا الناس.. وحازوا المجد من اطرافه واقاموا دولة ماعرف التاريخ أنبل منها ولا أفضل ولاأكرم ولاأعدل فماذا بعد الحق إلا الضلال. نعم لم يكونوا خواء بل إنهم يُذكرون إذا ذكر رمضان ويُذكر رمضان إن ذكروا فيه نزل القرآن على سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

وهو لعمر الله حياة الناس عند الموت ونورهم عند الظلمة.

وفي رمضان.. نصر الله المؤمنين ببدر وهم اذلة. وسماه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. وفي رمضان فتحت مكة لنبينا صلى الله عليه وسلم فطهرها من وساوس الوثنية. وأزاح منها كل قوى التقهقر والشرك. وفي رمضان يفتح الله على خالد بن الوليد في اليرموك وعلى سعد في القادسية وعلى طارق بن زياد في الأندلس عند نهر لكة وعلى المللك قطز والظاهر بيبرس ضد جحافل التتار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. وكذا حطين وجلولاء. ورمضان فيه وفيه وفيه. هذا هو رمضان الذي يجمع للصائم صحة الجسم وعلو الروح وعظمة النفس ورضاء الله قبل كل شئ وبعده.

رمضان أيها الناس. شهر الحب والوئام فكونوا أوسع صدراً وأندى لسانا وأبعد عن المخاصمة والشر. وإذا رأيتم من أهليكم زلة فيه فاحتملوها وإن وجدتم فرجة فسدوها واصبروا عليها. وإن بادأكم أحد بالخصام فلا تقابلوه بمثله بل ليقل أحدكم: إني صائم. وإلا فكيف يرجو من يمقت ذلك أن يكون له ثواب الصائمين. وهو قد صام عن الطعام الحلال وأفطر على ماسواه من الحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري.

وإن امرأتين صامتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض ثم ذكرتا له فدعاهما فامرهما أن يتقيا فقاءتا ملء قدح قيحا وصديدا ولحما عبيطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما. جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس) رواه الإمام أحمد.

فلا اله إلا الله ماأعظم هذا الجرم ولا اله إلا الله ما أعظمه من انتهاك لحرمة الشهر أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

«الصوم جنة» كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.. أي وقاية من الزلل والوقوع في الخطايا والمحرمات، وحماية من الأمراض والشرور والموبقات، وسترا من النار والعقوبات، وهكذا فقد أنعم الله علينا بالصوم لما له من فوائد عظيمة وحكم كثيرة، وآثار ونتائج جليلة لنا سواء كانت دينية روحية، أو صحية جسمانية ونفسية أو اجتماعية، أو غير ذلك من الفوائد التي لا نستطيع حصرها، وصولا إلى الفائدة العظمى والهدف الأسمى من الصوم ألا وهو تقوى الله عز وجل، قال تعالى «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» سورة البقرة. الذي لايفهم هذا المعنى ولايسعى لتحقيقه لا حظ له من صيامه إلا الجوع: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه وفي رواية والعطش متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» (رواه البخاري).

والصوم من أهم العبادات التي تعين على التقوى والتقرب إلى الله والبعد عن الرياء، فالصائم تتهذب نفسه وتتأدب وتزكو وتصفو، ويرق قلبه ويمتلئ بالإيمان واليقين، وتهدأ جوارحه، وتقوى عزائمه فيكبح جماح غرائزه، ويسيطر على شهواته، وبالتالي يكون أقرب للتقوى وأقرب للمغفرة قال سبحانه: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» سورةالطلاق – وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم الشاب الذي لا يستطيع الزواج على الصوم كوسيلة وقائية تحفظه – بإذن الله – من الوقوع في الفاحشة وما يصاحبها من شرور وأمراض وآلام فقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (متفق عليه).

■ الملائكة تطلب من الله للصائمين ستر الذنوب ومحوها

وما ألذه من شعور يكتنف قلوبنا ونحن في أول أيام شهر الخير والبركات. فها قد أظلنا شهر الكنوز العظيمة، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار. سيد الشهور، وميدان السباق والتنافس، يشمر فيه المشمرون، ويغتنمه العاقلون، ويفرح بقدومه المؤمنون، «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» البقرة 185.

رمضان حديقة وارفة الظلال، دانية الثمار، يدخلها المؤمنون منذ أول ليلة منه، فيقبلون بشوق وحماس ونشاط على كل ألوان العبادة والطاعات، لأنهم يعلمون ما فيه من المزايا والرحمات.

كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يهنئ أصحابه بقدوم رمضان فيقول (أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين. لله فيه ليلة خير من ألف شهر. من حرم خيرها فقد حرم) رواه النسائي، وصححه الألباني، صحيح الجامع 55.

وفي صحيح البخاري «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) زاد مسلم (وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» وفي رواية عند مسلم (فتحت أبوابُ الرحمة)

وفي الحديث أيضاً «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة وحسنه الألباني [صحيح الجامع 759].

فيالها من بشارات عظيمة. بشارات للطائعين أن يستزيدوا فأبواب الجنة مفتوحة، وبشرى للعاصين أن يرجعوا ويتوبوا فأبواب النار موصدة، والرحمات متنزلة. وبشرى للعقلاء أن يغتنموا هذا الموسم فمردة الشياطين مغلولة مصفدة.

رمضان أيها الأحباب، مدرسة للتعلم والتعليم، والتوبة والإنابة، ومحطة للتزود بالطاعات والنوافل. رمضان خلوة العابدين مع خالقهم في لياليه وأيامه، وإخلاص لله وحده في الطاعات والصيام «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصوم لي وأنا أجزي به»، وتربة للنفس على المجاهدة والصبر على الطاعات وترك العصيان.

رمضان فرصة للمغفرة، فرصة للتوبة، وغسل الأوزار والخطايا.

فيا فوز الطائعين، ويا فوز الصائمين، ويا فوز القائمين، ويا فوز التالين الذاكرين. دموع الفرحة تغمرني بقدومك يا رمضان، لأن الله قد مدّ في عمري حتى بلغني إياك، فأعلن توبتي، وأعود إلى ربي، فاستزيد من الطاعات، في حين شهدت بعيني رحيل كثير ممن فاجأهم الموت وقد كانوا يؤملون قدومك يا رمضان.

دموع الفرحة تغمرني يا رمضان، وأنا أتأمل في تلك العافية التي من الله بها عليّ لأتقوى بها على الطاعة، وأستغلها في الصيام والقيام وتلاوة القرآن والاستزادة من النوافل والقربات. في حين أن البعض قد أقعدهم المرض فاذهب عنهم لذة هذه الفرحة.

دموع الفرحة تغمرني يا رمضان، لأنني لازلت أشعر بالم تجاه رمضان الفائت، الذي مرت أيامه متسارعة ولم أحصل فيها ما أردت من الخيرات، وقد تثاقلت عن كثير من الحسنات، وفرطت في القيام والطاعات، فجئت يا رمضان لتعطيني فرصة وشحنة إيمانية لاستدراك ما فات.

فلماذا لا تدمع عيني وأنا في مثل هذا النعيم. لماذا لا تدمع عيني فرحاً وأنا أستقبل شهر الصيام والقيام والقرآن.

«من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»

«من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» هكذا قال عليه الصلاة والسلام.

فيا من أدرك هذا الشهر، ها هو رمضان يناديك، أقبل، عد إلى ربك، فمتى ستفيق من غفلتك، ومتى ستنتبه من رقادك، ومتى ستقبل على الله إن لم تقبل الآن.

ألا ترى تهجد المتهجدين، وتسمع تلاوة التالين، وبكاء الخاشعين، وأنين العائدين التائبين، واستغفار المستغفرين.

اعقد العزم أخي، واعقدي العزم أختي، على الصيام والقيام والتوبة والاستكثار من الطاعات عسى أن نكون من المقبولين المعتقين.

وفقني الله وإياك للصيام والقيام وصالح الأعمال، وبلغني وإياكم تمام الشهر، وتقبل مني ومنكم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه

(صيد الفوائد)

الاخلاص في العبادة وترك المعاصي هو خير ما يتقرب به العبد إلى ربه